عمان في عهد احمد بن سعيد ١٧٤٩-١٧٨٣م

رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ - كلية التربية
جامعة بغداد
١٩٨٨م

تأليف: فاضل محمد عبد الحسين جابر

عرض ونقد: الدكتور فلاح حسن عبد الحسين/ كلية التربية - جامعة البصرة

تأتي هذه الرسالة تكملة لعدد من الرسائل التي درست تاريخ عمان الحديث والمعاصر في مختلف اقسام التاريخ بجامعات القطر ومعهد الدراسات العربية ولكن تنفرد هذه الرسالة عن مثيلاتها كونها عالجت فترة من اكثر فترات التاريخ العماني الحديث تعقيدا خاصة بعد زوال دولة اليعاربة من الحكم وصعود اسرة البو سعيد التي مازالت تحكم عمان حتى الوقت الحاضر.

لقد شهدت عمان حربا اهلية طاحنة بعد وفاة اخر امام يعربي وهو سلطان بن سيف الثاني عام ١٧١٨م وعدم تركه خليفة يرث الامامة لان ابنه سيفاً كان قاصراً مما افسح المجال للقوى التقليدية من شيوخ القبائل ورجال الدين التدخل من فترة لاخرى في ترشيح الاشخاص الذين يرغبون له الامامة، ثم قيام تلك الحروب الاهلية المعروفة محليا بالصراع الهناوي - الغافري، وفسحها المجال للتدخل الفارسي المتمثل بغزوات نادر شاه الثلاث لعمان خلال الفترة ١٧٣٧-١٧٤٤م.

تكمن اهمية احمد بن سعيد بالنسبة للتاريخ العماني كونه من النماذج المشرقة في التاريخ العربي التي رفضت التدخل الفارسي في عمان منذ ان كان واليا على مدينة صحار حتى تمكنه من تحرير بلاده عندما طرد اخر قوات نادر شاه عام ١٧٤٤م ورفضه لاي نوع من انواع التدخل الاجنبي في بلاده طيلة فترة حكمه التي عرفت ذلك الصراع الدولي المحموم في الخليج العربي، لذلك فهو من الحكام القلائل انذاك الذين حاولوا المحافظة على استقلالية بلادهم في وسط تلك الصراعات الدولية.

اما في السياسة الداخلية فقد اتبع الامام احمد بن سعيد سياسة رجل الدولة القدير، فهو لم يعزل الاسرة اليعربية من السلطة، وانما ضمن لها بعض مصالحها

السياسية والاقتصادية، واعاد تنظيم وتحديث بعض مرافق الدولة العمانية وخاصة في مجال الادارة والاقتصاد،وانشاء جيش منظم ودائم ليحل محل القوى القبلية.

تقع هذه الرسالة في (١٦٢) صفحة وتضم مقدمة واربعة فصول وخاتمة بلغتين درس المؤلف في الفصل الاول الظروف الداخلية المعقدة والاخطار الخارجية التي كانت تحيق بعمان والتي هيأت المجال لتولي احمد بن سعيد السلطة. تلك الظروف تناولتها بعض الدراسات السابقة، ولكن ما اراد الباحث تاكيده هو ان في خضم ذلك الفراغ السياسي برزت مواهب وقدرات الامام احمد بن سعيد الادارية والعسكرية والسياسية التي مكنته من كسب ود السكان في عمان.

وبصعود الامام احمد الى دفة الحكم ولكونه من عامة الناس فقد اثار القوى التقليدية ضده في الداخل المتمثلة ببعض شيوخ القبائل من التكتل الغافري والقواسم في راس الخيمة، وكذلك قيام بعض المحاولات الانفصالية في شرق افريقيا التي تمثلت باستقلال ال المزروعي في مومباسا وال الحارث في زنجبار والنبهانيين في جزيرة باتا. لذلك انهمك الامام احمد بن سعيد في تثبيت سلطته بمختلف الوسائل السياسية والعسكرية التي خصص الباحث الفصل الثاني لدراستها.

اما الفصل الثالث فقد كرسه الباحث لدراسة التنظيمات الادارية والاقتصادية والعسكرية التي تعد من المحاولات المبكرة لبناء اسس دولة عصرية حديثة. فالى جانب تنظيمه لنظام الولاة والقضاء والشرطة قام الامام احمد بن سعيد ببناء جيش منظم ودائم وقوة بحرية لفرض هيبة الدولة في الداخل، والدفاع عنها في الخارج، بل وحتى تامين طرق مواصلاته البحرية ضد القرصنة عن طريق بناء وشراء السفن المعدة لذلك الغرض، فضلا عن البناء والعناية بالقلاع والحصون العمانية.

خصص الباحث الفصل الرابع لدراسة علاقات عمان الاقليمية والدولية في عهد الامام احمد بن سعيد المتميز ببعض المواقف القومية. فعندما هدد الفرس القواسم في راس الخيمة عام ١٧٧٢م، وقف الامام الى جانب القواسم على الرغم من علاقاته المتوترة معهم، وجهز حملة بحرية ضخمة لمساعدة مدينة البصرة عندما تعرضت للحصار من قبل قوات كريم خان الزند عام ١٧٧٥م. اما في المجال الدولي فقد اتبع سياسة حيادية مع القوى الدولية المتصارعة في الخليج العربي وخاصة انكلترا وفرنسا، لذلك لم يوافق على اقامة وكالة او مقيمية لهما في عمان او مسقط، ولكنه احتفظ بنوع من العلاقات التجارية معهما وذلك لادراكه موقع عمان الاستراتيجي في تجارة الهند الاوربية والفوائد الجمة التي تحصل عليها موانئه منها.
اعتمد الباحث في دراسته على المصادر العمانية المحلية بصورة اساسية التي هي على الرغم من اهميتها لاتخلو من ثغرات عديدة في منهجها ومادتها التاريخية، لكن

استطاع ان يسد هذا النقص بالرجوع الى المصادر الاجنبية وخاصة كتب الرحلات الاوربية التي درست عمان انذاك، ثم اكملها بالمراجع والدراسات العربية الحديثة بحيث حاول مقارنة الروايات والاحداث للوصول الى الدقة والحقيقة التاريخية.

توصل الباحث من خلال دراسته لتاريخ عمان في عهد احمد بن سعيد ١٧٤٩-١٧٨٣م الى عدد من النتائج اهمها:

١- ان اسرة البو سعيد الحاكمة حتى الوقت الحاضر في عمان تبوأت اهميتها في التاريخ العماني من خلال جهود الامام احمد بن سعيد مؤسسها في طرد الغزاة الاجانب وبالاسلوب نفسه الذي اتبعته الاسرة اليعربية مع البرتغاليين.
٢- حاول الامام بعد تثبيته لسلطة الدولة العمانية ان يتبع سياسة «الحياد» بين القوى الاوربية المتنافسة في الخليج العربي ورفضه منحها اية امتيازات سياسية او تجارية.
٣- اما في علاقاته العربية فقد وقف موقفا قوميا يندر ان يتكرر في التاريخ العربي الحديث انذاك، حيث وقف الى جانب مدينة البصرة ضد غزو كريم خان الزيد عام ١٧٧٥م، وساعد عشائر كعب لبناء قوتها البحرية، ووقف الى جانب القواسم امام التهديدات الفارسية المتكررة.

ولكن مايؤخذ على هذه الرسالة بعض الثغرات - وكأية رسالة في هذا المجال - وهي:
١- اسهب الباحث في الفصل الاول، خاصة في موضوع الصراع الهناوي - الغافري والغزوات الفارسية على عمان، دون ان يربط ذلك بمجيء الامام احمد الى السلطة.
٢- لم يكن فصل التنظيمات الادارية والاقتصادية متماسكا جدا، وذلك لقلة الادلة والحقائق التاريخية التي حصل عليها الباحث، وربما يعكس ذلك حدود المصادر التي اعتمد عليها خاصة وانه لم يطلع على وثائق الارشيفات الاوربية التي تعد من المنابع الاساسية جدا لدراسة هذه الفترة من تاريخ عمان والخليج العربي عامة.